

سورة المدثر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَتْلُوهُ الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝﴾
 المدَّثِّرُ: المتغشى بثيابه (النبى ﷺ) .

وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ: اخصص ربك بالتكبير والتعظيم.
 وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ: كناية عن تطهير النفس من المذام.
 وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ: اهجر المآثم الموجهة للعذاب.
 وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ: لا تعط طالبا الكثير عوضا عنه.

إن العمل النبوي الأصيل في هذه الدنيا هو الإنذار ، أي إعلام الناس بخطورة القضية التي تواجههم في الآخرة، ولا يستطيع القيام بهذا العمل على الوجه المطلوب إلا الذي يملأ قلبه دائماً الشعور بكبرياء الله وجلاله، والذي يتحلّى بحسن الأخلاق ونبالة السلوك، والذي يكون بعيداً عن السوء بكل أنواعه وأشكاله ، والذي يعمل الخير ويسدي المعروف إلى غيره غير متطلع إلى عوضٍ أو مكافأةٍ ما ، والذي يتمكن من الصبر على إساءات الآخرين وتحمل أذاهم من طرفٍ واحدٍ !

﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي الْأُنْفُورِ ۝ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝ ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۝ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ۝ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ۝﴾

سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا ﴿٧٧﴾

نُقِرَ فِي النَّاقُورِ: نفخ في الصور للبعث والنشور.

ذَرْنِي: دعني وخلني (تهديد ووعد).

مَا لَا تَمُدُّوهُ: كثيرا دائماً غير منقطع عنه.

وَبَيِّنْ شُهُودًا: حضوراً معه ، لا يفارقونه للتكسب لغناهم عنه.

وَمَهَّدْتُ لَهُ: بسطت له النعمة والرياسة والجاه.

كَلَّا: كلمة ردع وزجر عن المطمع الفارغ.

لَا يَأْتِنَا عَنِيدًا: معانداً جاحداً أو مجانباً للحق.

سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا: سأكلفه عذاباً شاقاً لا يطاق.

إِنْ مَنْ يَجِدُ نَفْسَهُ بِحَيْثُ يَتَوَافَرُ لَدَيْهِ مَالٌ وَثَرَوَةٌ طَائِلَةٌ ، هَذَا إِلَى جَنْدٍ مِنَ الْأَعْوَانِ وَالْأَنْصَارِ يَلْتَفُونَ حَوْلَهُ، تَتَوَلَّدُ فِي دَاخِلِهِ ثِقَةٌ كَاذِبَةٌ ؛ مِمَّا يَجْعَلُهُ يَقُولُ : سَأَكُونُ فِي الْآخِرَةِ أَيْضاً مِنْ حَسَنِ الْحَالِ وَاسْتِقَامَةِ الْأُمُورِ حَيْثُ أَنَا فِي حَيَاتِي الرَّاهِنَةِ ، وَلَكِنْ حِينَ يَأْتِي يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْقَلِبُ الْوَضْعُ كُلَّهُ رَأْساً عَلَى عَقِبٍ ، فَالَّذِي كَانَ يَرَى أَسْبَابَ الرِّفَاهِيَةِ وَصُنُوفَ التَّسْهِيلَاتِ تَحِيطُ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، إِذَا بِهِ يَجِدُ نَفْسَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَتَوَرِّطاً فِي مَآزِقِ حَرَجَةٍ لَا يُمْكِنُ اجْتِيَازُهَا!!

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿٧٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٧٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٨٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَسَرَ ﴿٨٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٨٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سَحَرٌ يُؤْتَرُ ﴿٨٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٨٥﴾ ﴾

وَقَدَّرَ: هياً في نفسه قولاً طاعناً في القرآن والرسول ﷺ.

فَقُتِلَ: لعن وعذب أو قُبِحَ.

نَظَرَ: تأمل فيما قدر وهياً من الطعن.

عَبَسَ: قطب وجهه لما ضاقت عليه الحيل.

وَبَسَرَ: اشتد في العبوس وكلوح الوجه.

سَحَّرَ: يروى ويتعلم من السحرة.

إن أكبر عائقٍ عن تلقى دعوة الحق بالقبول هو الاستكبار ، فالذين يحتلون مقام الزعامة والكبرياء في مجتمعاتهم ، يرفضون الاعتراف بالحق ، لما يخيل إليهم أن الاعتراف به سيقضى على زعامتهم وكبريائهم ، وهم يمعنون في الإجرام ، إذ يأخذون في تعيب كلام الداعي والطعن فيه ، تبريراً لعدم اعترافهم بصدقه ، وإذ يحاولون الخط من قدر الداعي وتلوّث كرامته من خلال إشاعة التهم والدعايات الكاذبة ضده بين الجماهير .

﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ۚ لَا تُتَّقَى ۚ وَلَا تَذَرُ ۚ لَوْ آخِذٌ لِلْبَشْرِ ۚ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۚ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۚ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا ۚ وَلَا يَزْتَابِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۚ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشْرِ ۚ ﴾

سَأُصْلِيهِ سَقَرَ: سأدخله جهنم.

لَوْ آخِذٌ لِلْبَشْرِ: مسودة للجلود محرقة لها.

فِتْنَةً: سبب فتنة وضلال.

وَمَا هِيَ: وما سقر.

إن أحوال جهنم وأهوالها التي وصفها القرآن الكريم تتعلق بالعالم غير المرئي لنا تماماً، وقيام التسعة عشر من الملائكة حراساً على جهنم، هو الآخر حقيقة من هذا القبيل .. فلو انشغل المرء في التنقير أو اتخذ من هذه الأشياء الغيبية موضوع الجدل والمباحكة، فإنها ستزيده حيرةً وارتياباً، أما لو سار المرء على نهج الإيمان المجمل بما كشفه الله من حقائق الغيب، لازداد خوفه وحذره من الآخرة.

﴿ كَلَّا وَالْقَمَرَ ۚ وَاللَّيْلِ إِذَا دَبَّرَ ۚ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ۚ إِنَّهَا إِيَّاهُ لَاحْدَى الْكُبَرِ ۚ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ۚ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۚ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۚ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۚ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ۚ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۚ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۚ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ ۚ وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ۚ وَكُنَّا نَحْوُضُ مَعَ الْحَائِضِينَ ۚ وَكُنَّا نَكْذِبُ بَيُّومِ الدِّينِ ۚ حَتَّى أَتَيْنَا الْيَقِينَ ۚ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ۚ ﴾

وَاللَّيْلِ إِذَا دَبَّرَ: ولى وذهب (قسم).

وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ: أضاء وانكشف (قسم).

إِنَّهَا إِيَّاهُ لَاحْدَى الْكُبَرِ: لإحدى الدواهي العظيمة (جواب القسم).

أَنْ يَتَقَدَّمَ: إلى الخير والطاعة.

بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ: مرهونة عنده تعالى بعلمه.

مَا سَلَكَكُمْ: أي شيء أدخلكم.

وَكُنَّا نَحْوُضُ: نشعر في الباطل ولا نبالي.

بَيُّومِ الدِّينِ: بيوم البعث والحساب والجزاء

إن هذا الكون يسوده نظام الحركة والدوران ، وإليه يرجع تعاقب الليل والنهار على سطح الأرض ، وما يعترى القمر من أحوال شتى على مدار الشهر ، وكأن نظام الحركة والتغير هذا يتضمن إشارة إلى أن عالم الدنيا الحالي سيظل يتغير هكذا ما شاء الله أن يتغير وينتقل من حال إلى حالٍ، ليحل محله في النهاية عالم الآخرة، والذين يتأملون في هذا النظام الكوني سيودّون أن يستفيدوا من "نهارهم" قبل أن يغشاهم "الليل" بظلامه، وسيفرون من الأعمال الجهنمية إلى الاشتغال بالأعمال المؤدية إلى الجنة .

﴿فَمَا هُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿١٠﴾ كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿١١﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿١٢﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنْشَرَةً ﴿١٣﴾ كَلَّا ۚ بَلْ لَا تَخَافُونَ ﴿١٤﴾ الْآخِرَةَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿١٦﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿١٧﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿١٨﴾﴾

حُمْرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ: حمر وحشية شديدة النفار .

قَسْوَرَةٍ: أسد. أو الرماة القنص .

أَهْلُ التَّقْوَى: أهل أن يتقيه عباده .

إن الموعدة، مهما كانت بليغة مؤيدة بالأدلة والبراهين، لا تكاد تؤثر في نفس السامع إلا إذا هو وقف منها موقف الجد، ولو لم يكن السامع جاداً، فإن أبلغ المواعظ وأقواها تأثيراً لن تتمكن من تحريك ساكنه أو النفاذ إلى قلبه، وإن الدليل الذي يُلْهب فؤاد إنسان جادٍ ويملك عليه مشاعره كلها، سوف لا يزيد غير الجاد إلا رغبةً في إثارة الجدل العقيم والخوض فيما لا طائل تحته !!